

أضواء البيان

@ 83 لأن □ ناداهم بوصف الإيمان مع قوله : { وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } فلم يخرجهم بضلالهم عن عموم إيمانهم ، ويشهد لهذا أن الضلال هنا عن سواء السبيل لا مطلق السبيل . قوله تعالى : { إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ } . يثقفوكم : أي يدركوكم ، وأصل الثقف الحذق في إدراك الشيء وفعله ، والرمح المثقف المقوم . .

قال الراغب : ثم يتجاوز به فيستعمل في الإدراك وإن لم تكن معه ثقافة ، قال تعالى : { وَاقْتُلُواهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ } ، وقال { فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِرَى الْأَحْرَابِ } . . .

فهذه نصوص القرآن في أن الثقافة بمعنى الإدراك ، وقوله تعالى { إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً } ، نص على أن العداوة وبسط اليد واللسان بالسوء ، يكون بعد أن يثقفوهم مع أن العداة سابق بإخراجهم إياهم من ديارهم ، فيكون هذا من باب التهيج وشدة التحذير ، وأن الذي يكون بعد الشرط هو بسط الأيدي بالسوء لأنهم الآن لا يقدر عليهم بسبب الهجرة ، ومن أدلة القرآن على وجود العداوة بالفعل لدى عموم من دون المؤمنين في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأُولُونَكُمْ خِيَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ } فقوله : من دونكم يشمل المشركين والمنافقين وأهل الكتاب ، وقوله : { وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ } أي في الحاضر ، وقوله : { قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ } لم يتوقف على الشرط المذكور في إن يثقفوكم ، فهم أعداء ، وقد بدت منهم البغضاء قولاً وفعلاً . .

وعلى هذا تكون الآية إعلان المقاطعة بين المؤمنين ، ومن دونهم وقوله : وودوا لو تكفروا ، قد بين تعالى سبب ذلك بأنه الحسد كما في قوله تعالى : { وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ } . . . وقال تعالى : { فَمَا لَكُمْ فِي الْأُمْنَانِ فِرْيَتَيْنِ وَاللَّهِ أَرَّوْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا } إلى قوله

